المصدر: الاهرام العربى
التاريخ : ١٣ اغسطس ٢٠٠٢

فرص ومخاطر سلام جارانج والبشير

أسامة سرايا

ليس بالاتفاقيات وحدها تضمن الحكومات السلام، أو حتى تضمن بقاءها فى الحكم، كان هذا أول ما تبادر إلى ذهنى حول اتفاق حكومة عمر البشير الحاكمة فى السودان مع حركة جارانج أو الجبهة الشعبية لتحرير السودان المسيطرة فى الجنوب، فى 20 يوليو 2002، الذى عرف باتفاق «ماشاكوس» وهى مدينة كينية شرق نيروبى العاصمة.

هذا الاتفاق ليس مفاجأة، رغم أن الجميع استقبله بالكثير من الدهشة، أو لنقل الصدمة، ويرجع ذلك إلى محاولات إخفائه، فالمباحثات جرت فى جو من التكتم والسرية، ومبعث عدم المفاجأة هو التطورات العالمية والإقليمية التى ستفرض حلولا قسرية على النزاعات الإقليمية.

وإذا دققنا النظر فى الاتفاق الجديد لمعرفة طبيعته، سنتوقف أمام مبادرتين للحل إحداهما إفريقية وتتزعمها مجموعة «الإيجاد» والأخرى عربية عرفت بالمبادرة المصرية - الليبية. والفرق الجوهرى بين المبادرتين يتركز فى نقطة محددة هى حق تقرير المصير، فالإفريقيون مصممون على أن تتاح للجنوبيين حقوق التصويت للانفصال، بينما الشماليون والعرب، يطالبون بالمساواة فى الحقوق للجنوبيين والشماليين مع الحفاظ على وحدة السودان، ولهذه النقطة وحدها - فقط - جرت المباحثات السرية، وكانت موافقة حكومة البشير أخيرا، أو على وجه الدقة، استسلمت للضغوط الخارجية، خاصة الأمريكية، فاعترفت للجنوبيين بعد 6 سنوات من الآن، بحق التصويت على البقاء مع السودان فى فيدرالية موحدة تضمن لهم حقوقا ذاتية كبيرة للحكم ودستورا مستقلا، ونظاما قانونيا مختلفا عن الشمال، بل تضمن لهم انتقال السلطة من الخرطوم إلى الجنوب. أو الانفصال فى دولة مستقلة ويصبح السودان سودانين، أحدهما شمالى، والآخر جنوبى، وهو الاحتمال الأقرب للتحقق فى ظل مناخ إقليمى صعب، وفترة زمنية وجيزة محددة بست سنوات. هى غير كافية لتجاوز مرارات حرب استمرت 19 عاما، وتسببت فى مقتل 1.5 مليون شخص، وتشريد ما لا يقل عن 4 ملايين إنسان، ويحق لأى مراقب أن يسأل متخذ القرار فى الشمال الآن: لماذا استمرت الحرب والمرارات كل هذه السنوات؟ وإذا كان من عاداتنا البكاء على اللبن المسكوب، فيجب ألا يتوقف الجميع أمام ما أسعد الشماليين - أقصد حكام الشمال الآن - بأن أمامهم الفرصة فى الإبقاء على سودان موحد، لأن ما يجمعهم أكثر مما يفرقهم. وأن الحرب المشتعلة بينهما لم تكن حربا حقيقية، بل حربا مصنوعة. فكل ذلك من علامات البحث عما يرضى، لخلق ما يبرر للنفس أخطاء الماضى، وكأن صاحبها يريد فرصة التقاط الأنفاس أو حتى الاستمرار فى لعب ذات الدور، رغم أن الزمن تخطاه أو حجم دوره، وأن عليه أن يلعب لعبة جديدة، هو لا يستطيعها، أو لا يقدر على دفع التزاماتها، لكنه بالقطع سيمسك بالسنوات الست القادمة، وكأنه أخذ مهلة لاستمراره فى حكم السودان، فى تلك الفترة انتظارا لتصويت الجنوبيين على سودان واحد.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

وعسى أن تتبدل الحال كما يتمنى حكام الشمال والجنوب، فتكون موافقتهما على الاتفاق بمثابة إشارة البدء لإنتاج البترول بكثافة، ويتحول السودان خلال تلك السنوات القليلة إلى دولة بترولية كبيرة أو خليجية جديدة غزيرة الإنتاج البترولى، ويكون هذا البترول شبكة الإنقاذ الجديدة للسودان الموحد ، لا أقصد إنقاذ حكومة الإنقاذ الحالية، لكن هكذا تفكر حكومة الإنقاذ، وللتذكرة هى ليست حكومة عسكرية، رغم أن واجهتها كذلك، لكنهم عسكريون متحالفون مع مجموعة دينية كان يتزعمها الشيخ حسن الترابى ثم انقلبوا عليه.

لا أظن أن جبهة الإنقاذ تتصور نفسها أذكى من الجميع، حيث إن مناوراتها فى السلطة منذ 13 عاما لاتزال مستمرة على ذات المنوال، لكنها سوف تنجح أخيرا ليس فى وضع حد للحرب الدائرة والمشتعلة فى السودان، لكن فى تقسيم السودان إلى دولتين.

كان أسهل على جبهة الإنقاذ أن تأخذ بدرس «سوار الذهب»، الذى سلم السلطة للشعب فى ديمقراطية حقيقية، وتفتح المجال للشماليين والجنوبيين للتصويت الحقيقى، وأن تعطى حق تقرير المصير للشماليين والجنوبيين معا فى ديمقراطية حقيقية كل ذلك يعد أفضل من التسليم بانفصال الجنوب عن الشمال، حتى لو كان انفصالا بالتقسيط أو على مراحل.

تلك رؤية سريعة لا تخفى بالقطع سعادتى بإنهاء حالة الحرب بين شمال السودان وجنوبه، فهى خطوة عملاقة إذا أحسن استثمارها، لإنهاء أطول وأصعب الحروب الإفريقية، بل إننا نذكّر كل السياسيين بضرورة التحلى بالعقل والحكمة فى أثناء تسوية النزاعات الإقليمية، وحقن الدماء، وتوفير الأموال للتنمية، وأن يتمسكوا ببعد النظر، والقدرة على رؤية الأحداث من زاوية أبعد، وألا ينتظروا سنوات عديدة، حتى يفقدوا عناصر القوة التى تحت أيديهم، ثم يقعوا فريسة للضعف والهزال ثم الضغوط الخارجية التى لا ترحم، وساعتها ستُفرض عليهم الحلول بكل مخاطرها وصعوباتها، لأنهم لم يستطيعوا أن يسبروا غور الأشياء. ويسارعوا للوجود فى المكان المناسب أو للتوصل إلى الحل الأسلم، بدلا من أن يُفرض عليهم الحل من الخارج، وهم فى الموقف الأضعف دائما، لأنهم لم يملكوا بصيرة الحل فى الوقت المناسب لهم.

كان أسهل على جبهة الإنقاذ أن تأخذ بدرس «سوار الذهب»، الذى سلم السلطة للشعب فى ديمقراطية حقيقية، وتفتح المجال للشماليين والجنوبيين للتصويت الحقيقى، وأن تعطى حق تقرير المصير للشماليين والجنوبيين معا

وإذا كانت لنا للعرب كلمة ، وبالتحديد للمصريين والليبيين، فإن عليكم أن تسارعوا بتعميق علاقاتكم ليس بحكام الشمال أو الجنوب المنتظرين، لكن بالشعوب، فعلاقات الشعوب أبقى، والجنوب الآن يحتاج لمن يدعمه ويوفر له احتياجاته، ويضمد جروح الحروب، ويفتح صفحة جديدة بين الشعوب، ولنتذكر جميعا أننا أفارقة وأن العصر القادم ليس عصر الدول والحكومات، لكنه عصر الشعوب، بل إن الحكومات دورها سيتقلص شاءت أم أبت، فالشعوب ستفضل الحكومات التى توفر لها مزيدا من الخدمات والحريات والرفاهية ، لا الحكومات العسكرية أو الدينية المتسلطة، بل إن هذه الحكومات عينها هى الحكومات التى ستسقطها الشعوب، ولن يكون أمام الجميع إلا فرصة بناء ديمقراطيات، حتى إذا لم تكن شبيهة بالديمقراطيات الغربية، لكنها يجب أن تكون ديمقراطيات تعطى للشعوب حريات أكبر وحقوقا تستحقها، ولا تقمعهم تحت أى مسميات حتى ولو كانت دينية.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية